مولانا الشيخ محمد عادل الربّاني

يحب الناسُ مَن يخدعونهم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. الصلاة والسلام على رسولنا محمد سيد الأولين والآخرين. مدد يا رسول الله، مدد يا ساداتي أصحاب رسول الله، مدد يا مشايخنا، دستور مولانا الشيخ عبد الله الفائز الداغستاني، شيخ محمد ناظم الحقاني، مدد. طريقتنا الصحبة والخير في الجمعية.

[...] يرحل الناس عن هذه الدنيا واحداً تلو الآخر، ويحل محلهم آخرون. انظر إلى هذا البيت مثلاً؛ ربما يبلغ عمره مئة عام، أو أكثر أو أقل بقليل. لقد عاشت هنا أجيال عديدة وأشخاص كثر، ثم رحلوا جميعاً، لم يستطيعوا أخذه معهم. لقد كانوا هنا، لكن المهم هو أن يترك المرء أثراً طيباً أو عملاً صالحاً ينفع الناس؛ فإما أن يثني الناس عليه، أو يلعنوه. تحدث هنا أمور كثيرة، وقد لعن الناسُ بعضَ من رحلوا. الحمد لله، لطالما نال المسلمون الثناء؛ لأنهم لا يظلمون أحداً. الظلم محرّم على المسلم، لا يجوز له أن يؤذي أحداً. فالمؤمن "لا يَظلم ولا يُظلم"؛ إذ لا يمكن للمؤمن أن يظلم أحداً. حتى الموتى؛ فلا يجوز المساس بجسد الإنسان الميت، ولا حتى في حالات الحرب؛ فلا يجوز التمثيل بالجثة، أو رميها، أو حرقها، فكل ذلك محرّم. أما غير المؤمنين، فقد يفعلون أي شيء.

.

لهذا نقول إن الصالحين -الذين يثني عليهم الناس ويثني عليهم الله عز وجل- هم المسلمون، والحمد لله. توجد في سيلان (سريلانكا) مقامات كثيرة وأماكن للزيارة؛ فهناك آلاف المقامات لأولياء الله، ومعظمها -بطبيعة الحال- غير معروف. لكن الله ﷻ جعل بعضها معروفاً وظاهراً، وأظهرها ﷻ للناس ليأتوا إليها وينالوا البركات منها. ذلك أن أولياء الله، بعد وفاتهم، تصبح روحانيتهم أقوى بسبع مرات على الأقل مما كانت عليه في حياتهم. لهذا، الحمد لله، ننوي اليوم زيارة مقامٍ يقع بالقرب من القلعة. يقول الناس إنهم لا يعرفون هوية صاحبه، لكنه ظهر لهم بكرامة؛ فأقاموا له مقاماً، وصار الناس يزورونه. ومن كراماته أن لديه بئراً ماؤها عذب، رغم أنه يقع على بعد أمتار قليلة فقط من البحر؛ فمن غير المعتاد وجود ماء عذب بالقرب من شاطئ البحر. هذا أمرٌ مستحيلٌ في العادة، لكن بفضل ما يُعرف بـ "كرامات أولياء الله"— جعل اللهُ ﷻ ذلك ممكناً هناك؛ حيث يأتي الكثيرون للزيارة. نحن نقوم بذلك في سبيل الله؛ فهؤلاء الأشخاص محبوبون عند الله، ولهذا السبب نزورهم ونُكِنُّ لهم الاحترام. فقد قال الله عز وجل في حديثٍ قدسي: "أنا أُحِبُّ عبادي الصالحين، ومَن عادى لي ولياً فقد آذنتُه بالحرب". يظنُّ الكثيرون أن بعض المجموعات مسلمين وصالحين. إنهم من يقولون "أنَّ زوار هذه المقامات "يعبدون أصحابها" أو "يعبدون القبور"؛ وهذا غير صحيح. نحن لا نعبد القبور، بل نعبد الله عز وجل. وبما أنَّ الله ﷻ يحب هؤلاء الأولياء، فنحن أيضاً نحبهم؛ ونتوسل بهم إلى الله ﷻ. لا نطلب منهم. وهم في الحقيقة لا يريدون من أحدٍ أن يطلب منهم شيئاً. إنهم يقولون "اطلبوا من الله، لا تطلبوا مني؛ اطلبوا من الله عز وجل". ومع ذلك، فإنه من الأفضل أن نطلب منهم أن يدعوا لنا؛ لأنَّ دعاءهم أكثر قبولاً في الحضرة الإلهية. فالله عز وجل لا يردُّ أولياء الله. ونظراً لأننا مذنبون وقد لا نحسن الدعاء، فإننا نطلب منهم أن يسألوا الله لنا كلَّ خيرٍ نرغب فيه؛ لا سيما الإيمان القوي، والثبات على طريق الله، والبقاء دائماً في معية الله عز وجل. هذه هي غايتنا وهدفنا.

.

أما المسلمون في سريلانكا فهم أناسٌ مخلصون، لكن للأسف، انتشر بينهم داءٌ يشبه في انتشاره فيروس "كوفيد". فمرض السرطان -على سبيل المثال- مرضٌ خطيرٌ للغاية، لكنه لا ينتقل من شخصٍ لآخر (أي ليس مُعدياً)؛ أما هذا الداء الذي نتحدث عنه فهو مختلف، إذ ينتشر بين الناس. العدوى تشبه فيروس

مولانا الشيخ محمد عادل الربّاني

كورونا أو الزكام أو أي شيء ينتشر بين الناس؛ حيث لا ينجو منها إلا القلة القليلة. وهي تنتشر لأن الناس يتعرضون للخداع. إن الإنسان يميل إلى من يخدعه ويؤذيه؛ وكما يقول المثل التركي "الجمل يحب الشوك". فالشيء الذي يأكله الجمل لا يمكنك حتى لمسه؛ إذ لو لمسته لجرح يديك، فهو مليء بالأشواك، ومع ذلك يحبه الجمل كثيراً. وكذلك الإنسان، فهو يميل إلى من يخدعه -وهذا مثل تركي، وهو صحيح-. عندما يجدون شخصاً صادقاً، لا يصدقونه، أما إذا وجدوا مخادعاً، فإنهم يهرعون خلفه كالأغنام. وللأسف، يعود هذا إلى جهل الناس؛ فهم لا يعرفون طريق الله ﷻ. فبمجرد أن يبدأ أحدهم بالصراخ وإطلاق الكلام هنا وهناك، يركضون خلفه ظانين أنه "عالمٌ جليل" لمجرد أنه يرفع صوته عالياً! ففي صلاة الجمعة الماضية، كان الخطيب يصرخ بقوة لدرجة أننا اضطررنا إلى سد آذاننا؛ فمثل هذا الصراخ يخترق الدماغ مباشرة. لقد أغلقنا آذاننا حتى لا نسمع شيئاً.

.

هؤلاء الناس، للأسف، على هذه الحال؛ فهم لا يقدّرون قيمة من يحبهم الله ﷻ. وعندما تحترم هؤلاء المحبوبين عند الله، فإن الله ﷻ يرضى عنك؛ إذ يقول ﷻ "لقد رضيتُ عنك؛ لأنك أحسنتَ إلى من أحبُّ، فأنا راضٍ عنك". فكما أنك إذا أحببتَ شخصاً، فإنك تحب كل من حوله -من أهله وغيرهم- وتُكنُّ لهم الاحترام والمودة؛ فإنك إن لم تحترمهم، فلن تنال احترام الله عز وجل ولا محبته؛ بل سيغضب الله ﷻ عليك ولن يرضى عنك. وهذا هو جوهر ما نسعى إليه، وما حاول جميع الأنبياء تعليم الناس إياه: أن تحب الله ﷻ، وأن تحب ما يحبه الله ﷻ. وهذا ما يُعرف بـ "الحب في الله والبغض في الله". أي أن يكون حبك خالصاً لله، وبغضك خالصاً لله. فمن لا يحب النبي ﷺ ولا يحب الله ﷻ، لسنا ملزمين بمحبته. قد يقول قائل "هذا يتنافى مع الإنسانية!"، لكننا لا نلتفت إلى ذلك؛ فاهتمامنا منصبٌّ على الله ﷻ. وإذا كان أحدهم لا يحب، فنحن بالتأكيد لا نحب ذلك. وإذا صدر عن أحدهم قولٌ يحمل كراهيةً، فلن نرضى عنه، لأن الله ﷻ لا يرضى عنه. نسأل الله ﷻ أن يحفظنا ويحفظكم، إن شاء الله، من هذا الداء ومن أمثال هؤلاء الناس. نحن لا نقول شيئاً ضدهم، بل ندعو الله ﷻ أن يهديهم. ونظراً لأن المؤمنين هنا يمثلون أقلية، فيجب عليهم الإتحاد، مع الحرص في الوقت ذاته على معاملة الآخرين بالحسنى. أهل الطريقة يعاملون الجميع بالحسنى؛ سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين، بوذيين، هندوس، مسيحيين ويهود؛ فليس لديهم أي مشكلة مع أحد منهم. إنهم يعيشون مع الآخرين، فنحن لسنا مكلفين بإجبار أحد على شيء. لا يمكنك إكراه أحد ليصبح مسلماً؛ فمن أراد ذلك، فأهلاً به ومرحباً، ومن لم يرد، فلا سبيل لإجباره. فمثل هذا التصرف غير مقبول، إذ لا يحق للمرء أن يتصرف وفق هواه؛ فمن أقدم على فعل كهذا، فسيُسأل عنه ويُعاقب في الآخرة من قِبل الله عز وجل. نسأل الله ﷻ أن يحفظنا ويحفظكم، إن شاء الله.

.

الحمد لله، نحن سعداء بوجودنا هنا مجدداً. كثير ممن كانوا معنا في المرة السابقة لم يعودوا موجودين اليوم؛ نسأل الله ﷻ أن يبارك فيهم ويرفع مقامهم أكثر فأكثر، فهم من أحباء الله ﷻ. لقد خدموا الله عز وجل، وأحبوا المشايخ، وأحبوا أولياء الله. وفي حق من يحمل هذا الحب، يقول نبينا الكريم ﷺ "المرء مع من أحب". سيكون المرء مع من أحب؛ فقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم أحد الصحابة -وكان يبكي- قائلاً "لماذا تبكي؟" فأجاب "يا نبي الله، أنت في الجنة ستكون في أعلى المقامات، ونحن لن نكون في نفس مرتبتك؛ لن نتمكن من رؤيتك في الجنة". نبينا الكريم ﷺ يقول "المرء مع من أحب". هذا قول النبي ﷺ، وهو أصدق الناس حديثاً. فالحمد لله، أولئك الذين كانوا معنا في المرة السابقة وانتقلوا إلى رحمة الله، سيكونون مع مولانا الشيخ ومع الأولياء في الجنة، إن شاء الله. لا شك في ذلك. الحمد لله، هذه أيضاً من محاسن الإيمان، ومن محاسن الطريقة والشريعة؛ فهي تمنح الناس الخير، الهداية، والبشرى الطيبة. فهي لا تدفعهم إلى اليأس أو القول بأننا جميعاً ذاهبون إلى جهنم. كلا، فالحمد لله، نحن لسنا ذاهبين إلى جهنم.

مولانا الشيخ محمد عادل الرباني

من أراد الذهاب إلى جهنم فليذهب؛ أما نحن فلا نريد الذهاب إليها. الحمد لله، يقول الله عز وجل في الحديث القدسي "أنا عند ظنِّ عبدي بي". لذلك، نحن نحسن الظن به ﷻ؛ فهو الرحمن الرحيم، وقد أخبرنا ﷻ بأننا سنكون في الجنة. هذا هو ظننا بالله ﷻ، ولا شك في ذلك، إن شاء الله. بارك الله فيكم، وحفظنا جميعاً وأبقى شملنا مجتمعاً، إن شاء الله، وهدى الآخرين أيضاً، إن شاء الله. ومن الله التوفيق. الفاتحة.

مولانا الشيخ محمد عادل الحقاني
5 تشرين الثاني 2026/ 25 جمادى الأولى 1448
كولومبو، سريلانكا